# (١) الحوار مع التراث

ليس جديدا أن يُدار حوار حول ما ينبغى أن تسير على أساس منه الحركة الأدبية عبر أصول ومقوِّمات تضمن لها الأصالة وتجنبها الزيف ؛ ذلك أن أجيالا متعددة قد أسهمت فى ترسيخ الرؤى المختلفة ؛ أو طرح التصورات المتعددة حول طبيعة حركة الأدب ، وتتبع مقاييس حياته وتطوّره على مدار العصور التى نعرفها لأدبنا العربى ، وكذا لآداب الأمم الأخرى عامة .

وربما ظل الجديد الذى يتحتم أن ننقب عنه ، ونسعى إلى رصده كامناً فى محاولة استجماع تلك الأصول ، والسعى وراء تسجيل الحقائق النقدية التى تتعلق بكل منها ، خاصة فى زحام واقعنا الذى امتلأ ضجيجا قد لا يسمح بمزيد من التوقف عند عمق النظرة ، أو التروى فى تحليل مفردات الإبداع .

ذلك أن نضج الحركة الأدبية يتطلب - بالضرورة - حالة من الهدوء والتأمل للوقوف طويلا عند كثير من التفاصيل التى لا يحسن أن يتجاوزها الشاعر ولا الناقد .

ولعل الأصل الأول الذى نتوقف عنده خاصة فى زحام تيارات التجديد ، أو ما نسميه بالثورات الفنية هو التراث الذى تظل صخرته صامدة أمام محاولات تحطيمها ، أو رفع معاول التمرُّد عليها ، فإذا بهذا التمرد - فى معظم الأحوال - لا يكاد يتجاوز ما سجله قول الأعشى فى معلقته :

كناطحٍ صَخْرةً يومًا ليُوهِـــنها  فلم يَضِرْها وأوْهَى قرنَهُ الوَعِـــلُ

ذلك أن تراث أمة ما لا يمكن إلا أن يكون أساسا من أسس حياتها ، حيث يمثل الذاكرة الفاعلة التى تُميزها على الصعيد الجمعى ، كما يمثل - على المستوى الفردى - أغلى ممتلكات كل من أبنائها . ومن هنا يعد صدور الشاعر عن حس التراث ضرورة أولى ، ومقوما أساسيا يتولّى حماية الحركة الأدبية ويضمن سلامة مسارها ، ويظل حارسا أمينا يرعاها ، ويتتبع خطاها فى أناةٍ وحرص شديدَيْن .

على أن صدور الشاعر عن تراثه ، سواء قصدنا بذلك إلى الشاعر العظيم أو المغمور ، لا ينبغى أن يدخل فى مجال القهر الفكرى ، أو منطقة الاستسلام المطلق الذى تسقط معه الذات ، وعندئذ تخور قواها الإبداعية ، إذ الأقرب إلى صحة التصوُّر أن تكون ثمة رغبة